

جامعة المسييلة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها
سنة ثالثة LMD

محاضرات علم الأسلوب (ص14/1)

إعداد الأستاذ : مداقين هشام

السنة الجامعية 2014/2013

مصادر ومراجع مختارة:

- _ الأسلوبية والأسلوب، د. عبد السلام المسدي
- _ علم الأسلوب_ مفاهيم وتطبيقات، د. محمد الكواز
- _ علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته، د. صلاح فضل
- _ البلاغة والأسلوبية، د. محمد عبد المطلب
- _ الأسلوبية وتحليل الخطاب، د. نور الدين السد
- _ النَّصُّ والأسلوبية بين النظرية والتطبيق - عدنان بن ذريل
- _ ظواهر أسلوبية في شعر بدوي الجبل - عصام شرتج

- _ الأسلوب دراسة لغوية إحصائية لسعد مصلوح.
- _ البنيات الأسلوبية في لغة الشعر الحديث، د. مصطفى السعدني
- _ خصائص الأسلوب في الشوقيات، د. محمد الطرابلسي
- _ الأسلوبية ، بيير جيرو. ترجمة: د. منذر عياشي
- _ في النص الأدبي: دراسات أسلوبية إحصائية. سعد مصلوح
- _ الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب، علي عزت
- _ مدخل إلى اللسانيات، محمد محمد يونس علي
- _ الأسلوبية النصية من خلال مفهوم الانزياح د. جمال حضري
- _ دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث ، أحمد درويش
- _ دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجاني
- _ أسرار البلاغة عبد القاهر الجرجاني
- _ منهاج البلغاء وسراج الأدباء حازم القرطاجني
- _ مقدمة ابن خلدون

دراسات:

- _ ظاهرة العدول في البلاغة العربية مقارنة أسلوبية، عبد الحفيظ مراح
- _ شعر زهير بن أبي سلمى دراسة أسلوبية، أحمد محمد علي
- _ شعر بشر بن أبي خازم دراسة أسلوبية، سامي حماد الهمص
- _ دراسة أسلوبية في شعر أبي فراس الحمداني، نهيل فتحي أحمد كتانة

_ الخطاب القصصي القرآني دراسة أسلوبية تداولية سورة يوسف نموذجاً نور الدين خيار

_ البنى الأسلوبية في الكتابة بالنار ، أحمد بكار

الأسلوب. الأسلوبية. المفاهيم. النشأة. الحقل المعرفي

الأسلوب في التراث العربي

ترد مادة أسلوب في لسان العرب لابن منظور بمعان عدة منها

« يقال للسطر من النخيل أسلوب وكل طريق ممتد فهو أسلوب..الأسلوب الطريق والوجه

والمذهب.. يقال أنتم في مذهب سوء..ويجمع أساليب، الأسلوب بالضم: الفن... يقال أخذ فلان في

أساليب من القول، أي أفانين منه »

يلاحظ من هذا التعريف أن المفهوم اللغوي للأسلوب يأخذ معنى (لطريق، الوجه، المذهب، أو

الفن) مما يحتمل معنى الاختلاف، التعدد والاختيار، اختلاف الطرق، الأوجه، الأفانين.. وتعددها،

وأن الأسلوب هو اختيار أحدها، كما تدل العبارة الأخيرة على قرب معنى الأسلوب بما يراد به في

حقل الأدب، من ذلك اعتبار الأسلوب الفن من القول وربط هذا الأسلوب (بفلان)، أي تصرف

صاحب الفن أو الأسلوب بأفانين من القول .

ولا جرم أن البحث عن معنى الأسلوب في التراث العربي هو عمل ليس سهلاً على الإطلاق، وذلك

لتنشعب الميادين المعرفية التي وردت فيه من مباحث لغوية وأدبية ومباحث دينية عقديّة أو

فلسفية..وكذلك تنوع الدلالات المعبر عنها من خلال هذا المفهوم أو من خلال غيره، كون هذه

المعاني تبقى جزئية ومتفرقة، ولكنها رغماً عن ذلك لا تقتقد إلى الأصالة والامتياز، بل إن تتبع هذا

المعنى وغيره في التراث هو أكثر إلحاحاً من ذي قبل، ورغم المحاولات الموجودة إلا أنها تبقى قاصرة

عن درك الاشتغال العربي الأول في محاولة نحت مفاهيم لغوية ونقدية والعمل على التأسيس لها وفق

ما هو متاح فكرياً ومعرفياً، لذلك نجد أن النظر العربي الأول كان مشغولاً بتحديد الأسلوب الصحيح

في اللغة لتجاوز معضلة اللحن وما يترتب عنها من أخطار فيما سمي بعلم النحو، ثم تجاوز

الأسلوب الصحيح إلى الأسلوب الأصح والأجمل فيما أطلق عليه علم البلاغة، وقد كان القرآن الكريم

أسلوباً منفرداً فأسس لدراسات عديدة حاولت فهم هذا الأسلوب وتحديد معالمه في مقابل الشعر الذي

يعد أسلوباً خاصاً من أساليب القول، وكان النقاد قديماً يميزون بين الشعر الجيد والرديء، وبين الجاهلي والإسلامي والعباسي، وبين القديم والمولد، وبين المطبوع والمصنوع وبين الأصيل والمنحول.. وفي كل ذلك ما يتصل بمعنى الأسلوب الذي هو ضرب من القول، وطريقة في التعبير، وجنس من التصوير على نحو خاص، وقد ذكر الأسلوب بلفظه وبمعناه في التراث كما يشار إليه باصطلاحات أخرى من قبيل النظم أو المنوال كما سيأتي، ولعل النماذج التراثية عديدة ومتنوعة إلا أننا سنشير إلى ثلاثة نماذج لا يمكن تجاوزها إذا ما ذكر الأسلوب في التراث.

رغم تأخر عبد الرحمن ابن خلدون إلا أنه استطاع أن يحيط بما توقف عنده من جهود لغوية ونقدية ليعطي قيمة أكثرنا نضجاً عن الأسلوب وما يقوم به في سياق حديثه عن الشعر يقول ابن خلدون : « فسلوك الأسلوب عبارة عن المنوال الذي تتسج فيه التراكيب أو القالب الذي يفرغ فيه ولا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته أصل المعنى الذي هو وظيفة الإعراب (أي النحو) ولا باعتبار إفادته كمال للمعنى من خواص التراكيب الذي هو وظيفة البلاغة والبيان، ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب في الشعر الذي هو وظيفة العروض.. إنما يرجع إلى صورة ذهنية للتراكيب منتظمة كلياً باعتبار انطباقها على تركيب خاص، وتلك الصورة التي ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها ويعيدها في الخيال كالقالب والمنوال ثم **ينتقي** التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان فيرصّها فيه رصّاً... » .

- ومن خلال هذا القول "لابن خلدون" تبدو معالم الأسلوب واضحة جداً فقد ميز ابن خلدون بين الكلام العادي وبين الكلام الإبداعي، وبين أن النحو البلاغة والعروض هي قواعد عامة تنتمي إلى اللسان العربي، بينما الأسلوب هو انتقاء (اختيار) واع يتم في ذهن المتكلم على تركيب خاص، وبالرغم من هذا التصور الممتاز للأسلوب عند ابن خلدون إلا أنه غير كاف لتحديد معالم نظرية عربية حول الأسلوب، وحديث ابن خلدون عن الأسلوب جاء في خضم التأريخ للعلوم والأفكار الذي هو من صميم مهمة كتاب العبر وهو ما يلبي حاجة العصر الذي نشأت فيه هذه الأفكار.

لقد اعتنى العرب القدامى بمفهوم الأسلوب عناية خاصة باعتباره مدخلا للكشف عن القيم الجمالية الموجودة داخل النصوص ولعل أبو الحسن حازم بن محمد القرطاجني صاحب منهاج البلغاء وسراج الأدباء من الذين حاولوا رسم معالم معتبرة للأسلوب العربي من خلال بحثه في أسس الشعر انطلاقاً من مزجه بين التصور الفلسفي اليوناني مجسداً في فكر أرسطو وبين التصور العربي الذي يمثله عبد القاهر الجرجاني، لذلك وضع حازم مصطلح الأسلوب مقابل مصطلح النظم عند عبد القاهر لكنه ربط الأسلوب بالمعنى معتبراً أن النظم مرتبط بالألفاظ، فالأسلوب عنده هو طريقة الضم والتأليف للموضوعات الصغيرة داخل الغرض الشعري وبعبارة أدق يقول حازم : «إن الأسلوب هيئة تحصل عن التأليف المعنوية وأن النظم هيئة تحصل عن التأليف اللفظية وأن الأسلوب في المعاني بإزاء النظم في الألفاظ ... »

والملاحظ أن نظرة "أبو حازم القرطاجني" إلى الأسلوب اقتصرت على الشعر دون غيره من الأنواع الأدبية المعروفة لدى العرب، ويمكن القول أن مفهوم النظم هو أدق وأوسع من مفهوم الأسلوب الذي وضعه حازم كما أن هذه النظرة لم تتعد مرحلة الإشارة والتنبيه إلى مرحلة التأسيس والتجريب.

أما ما يمكن أن يعبر بحق عن تصور ممتاز لمفهوم الأسلوب في التراث العربي هو عبد القاهر الجرجاني في كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، حيث عبر عنه بمصطلح النظم الذي يتجاوز اللفظ والمعنى إلى التأليف حيث يتكئ على ما يقتضيه علم النحو ليس في شرطه الإعرابي برفع ما حقه الرفع ونصب ما يستوجب النصب ولكن في إفادة النحو لتمام المعنى وأن ليس النظم سوى أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وذلك بالتقديم والتأخير والوصل والفصل والتعريف والتكثير والحذف والإضمار والشرط والجزاء.. على ما ينبغي له، وكأن عبد القاهر يقول أن النحو لا يفرض على المتكلم الالتزام بالقواعد أو بمقياس الصحة والخطأ بقدر ما يقدم اختيارات غير محدودة لإخراج الكلام على أحسن صورة، وهذا ما دفع بعبد القاهر إلى التمييز بين مستويات الكلام في إطار تفسيره لإعجازية القرآن الكريم برده إلى حسن النظم رغم أن المعين واحد وهو اللغة العربية كون القرآن بلسان عربي مبين، لذلك حدد عبد القاهر سلماً للتمييز بين الكلام العادي والكلام

الإبداعي (الشعر) والكلام الإعجازي (القرآن) وأن لا سبيل إلى التفريق بين هذه المستويات إلا سبيل النظم.

وعلى ضوء ذلك استطاع عبد القاهر أن يحدد أهم ما يقوم عليه الأسلوب العربي بصورة أكثر شمولاً من سابقه وأكثر عمقا من لا حقيه حيث ربط الأسلوب باللغة في صحة التركيب (النحو) وفي حسن التعبير (البلاغة) بالإبداع (الشعر) في كلام العبقري وصولاً إلى المستوى المفارق المعجز (كلام النبي) وذلك بجعل النظم مرجعية تأويلية يمكن لها أن تستوعب تعدد الأساليب وتفاوتها، وهذا ما جعل للدرس الأسلوبي الحديث شرعية في الحقل العربي كون الأسلوبية تتوفر على مرجعية عربية سابقة قبل أن تكون علماً حديثاً وافداً من الغرب، وهو ما حمس الباحثين العرب وجعل البحث الأسلوبي من أكثر الدراسات تداولاً في الحقل العربي.

و لا يخرج الدرس الأسلوبي الحديث عند العرب عن كونه إما امتداداً للتراث القديم أو متأثراً بالدرس الأسلوبي الغربي على حسب اختلاف ثقافة الدارسين العرب بين عربية تراثية أو غربية حديثة أو محاولة البعض الآخر تجاوز هذه الثنائية إلى رسم تصور جديد ومختلف فيه شيء من التطوير، ولكن هذا التصور لا يجاوز التحديدات القديمة التي نشأت في ظل البلاغة والإنشاء والنقد الأدبي، أو أنها استثمار مباشر للمفاهيم الغربية حول الأسلوبية كعلم غربي حديث، رغم وجود محاولات لتأصيل هذا العلم عربياً، وإعطائه شرعية وجودية مستقلة، وقد شاع في العصر الحديث استعمال مصطلح الأسلوب بين الدارسين والكتاب بمفاهيم متعددة منها: الأسلوب العلمي، والأسلوب الأدبي، الأسلوب البسيط، والأسلوب الغامض، أسلوب عميق، أسلوب مباشر.. وقد يرتبط الأسلوب بعصر أو زمن كأسلوب عصر الضعف، وأسلوب العصر العباسي كما يتعلق الأسلوب بالجنس الأدبي كأسلوب الكتاب في مقابل أسلوب الشعر أو أنه اتصل بالكتاب كالتمييز بين أسلوب طه حسين والرافعي، وأسلوب العقاد.. وقد اضطلع بدراسة الأسلوب العديد من الباحثين من بينهم أمين الخولي، أحمد الشايب، سعد مصلوح، بدوي طبانة، عبد السلام المسدي، صلاح فضل، أحمد الطرابلسي، فايز الداية.. وفيما يلي بعض التعريفات العربية للأسلوب:

_ الأسلوب هو طريقة ووسيلة تعبير عن الفكر بواسطة الكلمات والتراكيب .

_ الأسلوب هو اختيار من جانب الكاتب بين بدلين في التعبير .

_طريقة الكتابة أو طريقة الإنشاء أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير.

_هو الصورة اللفظية التي يعبر بها عن المعاني أو هو نظم الكلام وتأليفه لأداء الأفكار وعرض الخيال بواسطة العبارات اللفظية المنسّقة وفق تسلسل خاص .

_الأسلوب اختيار، أو انتقاء يقوم به المنشئ لسمات لغوية معينة بغرض التعبير عن موقف معيّن .
_ الأسلوب انحراف، اختيار، إضافة..

نشأة علم الأسلوب عند الغرب:

يعبر عن الأسلوب في اللغة الأجنبية بمصطلح (Style) الذي يعود في أصله إلى الاشتقاق اللاتيني للجذر (Stylus) حيث يشير إلى (مرقم الشمع) وهي عصا مدببة للكتابة على ألواح الشمع، ويراد بها أداة الكتابة كالريشة أو القلم ثم انتقل الأصل بطريق المجاز إلى مفاهيم تتعلق بطريق الكتابة ثم أطلق على التعبير الأدبي الذي ظل سائدا حتى وقتنا الحالي .

أما في المعنى الاصطلاحي فقد ورد مصطلح الأسلوب مرتبطا بالبلاغة القديمة (rétorèque) حيث كان الأسلوب إحدى وسائل إقناع الجمهور عند أرسطو في الفلسفة اليونانية وهو الذي قسم الأسلوب إلى أسلوب صحيح، واضح، ودقيق، في سياق حديثه عن الخطابة، ثم عرض علماء اللغة الأوروبيون في العصور الوسطى للأسلوب عبر ثلاثة أقسام أسلوب متدني أسلوب وسيط، أسلوب سامي متخذين من أعمال فريجيل في الانياذة نموذجا وهذا التقسيم كان على أساس الطبقة الاجتماعية بين الفلاحين، المزارعين، والطبقة البرجوازية ، ثم قفز مفهوم الأسلوب قفزة نوعية عند **بيفون** عندما رفض التقسيم الطبقي له معتبرا أن الأسلوب هو الكاتب وليس الطبقة « الأسلوب هو الرجل نفسه»، « فالأسلوب لا يمكن أخذه ولا نقله ولا تعديله » ، « إن المعارف والوقائع والاكتشافات تتلاشى بسهولة، وقد تنتقل من شخص لآخر، ويكتسبها من هم أعلى مهارة، فهذه الأشياء تقوم خارج الإنسان أما الأسلوب فهو الإنسان نفسه ، فالأسلوب إذن لا يمكن أن يزول ولا ينتقل ولا يتغير».

ولا يمكن الحديث عن ظهور علم ينظر في الأسلوب كموضوع قابل للدراسة إلا بعد الجهود الممتازة التي قدمها العالم السويسري فرديناند دي سوسير في إطار تأسيسه لعلم اللسانيات ووضع مبادئه

العامة التي مهدت لعلم الأسلوب كعلم مرتبط وجوديا بظهور اللسانيات حيث أن أهم المبادئ التي قامت عليها اللسانيات وكانت مرجعا لعلم الأسلوب هي فكرة التمييز بين اللغة والكلام، فاللغة نظام عام وثابت مفروض على الفرد، بينما الكلام فردي، عابر، متغير، يخضع لمزاج الفرد وتصرفه حسب المواقف والانفعالات وهذا ما دفع بشارل بالي تلميذ دي سوسير إلى محاولة تأسيس علم يرصد الاختلافات الحاصلة في استعمال اللغة عند الأفراد و رصد الأسباب المتحكمة في ذلك أو كما يسميها بالي بأنماط التعبير، وأهم ما يمكن أن تشتمل عليه الأسلوبية هي المبادئ التالية:

- إن (علم الأسلوب) علم يُعنى بكل ما يتعلق بالأسلوب، ويكشف عن الخصائص المميزة (الأسلوبية) للتعبير المكتوب والمنطوق وأن الأسلوب مصطلح ذو مدلول إنساني، ذاتي نسبي، أما علم الأسلوب أصبح جسرا يربط علوم اللسان (اللسانيات) بالإبداع الفني الأدبي.

- إن أهم مبدأ يعتمد عليه علم الأسلوب هو ثنائية اللغة والكلام التي تقوم بتحليل الظاهرة اللسانية إلى اللغة وهي نظام عام مجرد جماعي غير مقصود وأن الكلام هو استعمال فردي شخصي لذلك النظام.

- إن أية نظرية في الأسلوب تقوم على أساس فرضية منهجية قوامها أن المدلول الواحد يمكن التعبير عنه بدوال مختلفة، مما يؤدي إلى تعدد الأشكال التعبيرية، على الرغم من وحدة الصورة الذهنية، وإن المقارنة الأسلوبية هي الوسيلة الوحيدة لكشف الخصائص المميزة لكل شكل تعبيرى أو استعمال لغوي .

ويمكن القول أن الأسلوبية قد تطورت كثيرا بعد بالي واتسعت آفاق بحثها وتعددت اتجاهاتها حتى أضحت من أهم التيارات المؤثرة في الأدب في القرن العشرين، فقد ظهر بعد بالي العديد من الأبحاث المهمة التي أضافت لعلم الأسلوب منها محاولات ليو سبتزر 1911 في التمهيد للأسلوبيات الأدبية القائمة على إبراز العناصر الأسلوبية وعلاقتها بنفسية الكاتب وكذلك جهود جيل ماروزو سنة 1931 في توجيه الدراسات الأسلوبية إلى الاهتمام بالصناعة الأدبية والحدث الجمالي، وتجاوز البحث الوضعي الجاف الذي أرساه بالي وأتباعه، ثم توالى الأبحاث والدراسات حتى حاول كل من أوستن وارين ورينيه وليك تأسيس نظرية للأدب تعتبر الأسلوبية من أهم مباحثها، وحينما ترجم تودوروف أعمال الشكلايين الروس إلى الفرنسية 1965 عززت مكانة الأسلوبية ثم توالى الأبحاث

التي تربط الأسلوبية بالأدب واللسانيات والنقد عند كل من ليو سبزر، وياكبسون، وستيفن أولمن، بيار جيرو .. وعند ميشال ريفاتير أخذت الأسلوبية منحى آخر عندما ركزت على الخصائص النوعية للرسالة لأن الأسلوب أثر يحدد المضمون الإخباري للرسالة .

تلقي علم الأسلوب عند العرب:

انتقلت فكرة علم الأسلوب عند العرب في العصر الحديث عن طريق محاولة تجديد علم البلاغة، وربطها بالأسلوب وقد كانت هناك محاولات مبكرة أخذت على عاتقها النظر إلى الأسلوب نظرة معاصرة لكنها تتكى على المنجزات التراثية المحققة في هذا المجال، ثم طم الوادي على القرى عندما انفتحت هذه الدراسات على ما هو حادث في الغرب من تطور تقني و منهجي لعلم الأسلوب بمختلف اتجاهاته ومجالاته مما حفز الدارس العربي إلى استثمار هذا التطور الذي كانت له تقاطعات ممتازة مع التراث البلاغي العربي وفيما يلي سرد لأهم الكتب المعبرة عن هذا التأثير والتأثر مرتبة ترتيباً زمنياً حسب النشأة والتطور:

_ يعد كتاب أحمد الشايب الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية 1939 أول كتاب يحمل عنوان الأسلوب في العصر الحديث حيث حاول فيه الكاتب رد الاعتبار للبلاغة العربية عن طريق إعادة توظيفها في الحقل الأدبي وبيان أهميتها بالنسبة للغوي والأديب والناقد وحتى المؤرخ.

_ المحاولة الثانية كانت سنة 1947 عندما أصدر أمين الخولي كتاب فن القول ثم استبدله بعنوان البلاغة حول فيه المزج بين البلاغة عند العرب والأسلوبيات عند الايطاليين في أعمال باريني .

_ وفي سنة 1977 اصدر عبد السلام المسدي كتابه الأسلوبية والأسلوب نحو بديل ألسني في نقد الأدب وهو أول كتاب عرّف القارئ العربي بأهم المباحث الأسلوبية الغربية من حيث المصطلح والموضوع والأسس والأشكال والبناء.. التي تدل على حسن فهم واستيعاب، كتبت لهذا الكتاب القبول في الساحة الفكرية العربية.

_ نتيجة لنجاح المسدي في طرحه الأسلوبي الحديث، قدم الباحث عدنان بن ذيل سنة 1980 كتاباً بعنوان اللغة والأسلوب حاول فيه محاكاة المسدي في طرحه العلمي للأسلوبيات .

_ كما أصدر سعد مصلوح دراسته الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، أبدى فيه رغبته في الدعوة على المنهج الإحصائي

_ وفي سنة 1981 قدم محمد الهادي طرابلسي دراسته القيمة خصائص الأسلوب في الشوقيات الذي يعد أول كتاب في الأسلوبيات التطبيقية على غرار كتاب المسدي الذي يعد أول كتاب في الأسلوبية النظرية .

_ لتتوالى الأبحاث والدراسات التي من أهمها: البلاغة والأسلوب محمد عبد المطلب، الأسلوبيات مجلة فصول النقدية اتجاهات البحث الأسلوبي شكري محمد عياد 1985، علم الأسلوب مفاهيم وإجراءات صلاح فضل، جماليات الأسلوب فايز الداية، سعد مصلوح الأسلوب 1992.. إلى غير ذلك من الأبحاث التي توسعت لتشمل جميع الخطابات السائدة سواء فيما تعلق بالشعر أو الرواية ومختلف الأجناس الأدبية القديمة والحديثة، وأصبحت الأسلوبية شبه موضة في الدراسات الأكاديمية الحالية .

مفهوم علم الأسلوب:

نشأ علم الأسلوب متزامنا مع نشأة العديد من العلوم الإنسانية على غرار علم الاجتماع وعلم اللسان وقد أخذت العلوم الإنسانية منحى العلوم التجريبية في الخروج من التصورات والأحكام المبنية على التخمين والذاتية إلى التجريب عن طريق التعليل والفرض والاستنتاج، وبالتالي فإن علم الأسلوب يعني الدراسة العلمية للأسلوب القائمة على التمييز بين الدراسات القديمة للغة والبلاغة التي تعتمد على الانطباعات الذاتية المعيارية وبين الدرس الحديث ذو المنزع الوضعي والتجريبي . _ اعتماد المنهج الوصفي القائم على التحليل والتفسير المعلل الذي يوصل إلى نتائج يمكن التحقق منها أو الوثوق بها إلى حين يثبت عكسها.

_ موضوع الأسلوبية هو الأسلوب رغم اختلاف الباحثين في تحديد طبيعة الأسلوب بين كونه تعبيراً كاشفاً لنمط التفكير عند المتكلم أو الكاتب، أو هو سمة من سمات النص التي تترك أثرها على المتلقي أو هو مجموعة الظواهر اللغوية المختارة الموظفة والمشكلة عدولا عن النظام العام للغة. ويمكن تعريف علم الأسلوب بتعريفات عدة منها:

_ يعرفه شارل بالي بقوله: « دراسة قضايا التعبير عن قضايا الإحساس وتبادل التأثير بين هذا الأخير والكلام ».

_ رومان ياكسون «الأسلوبية بحث عما يتميز به الكلام الفني من بقية مستويات الخطاب أولا ومن سائر أصناف الفنون الإنسانية ثانيا» .

_ ميشال ريفاتير: «الأسلوبية هي لسانيات تعنى بتحديد المضمون الإخباري للرسالة اللغوية» .
وتعدد التعريفات راجع إلى تعدد الاتجاهات المعبرة عن الأسلوبية وكذلك تعقد ظاهرة الأسلوب وصعوبة تحديد ماهيته وأبعاده، وكذلك تقاطعه مع المعارف الأخرى.

علم الأسلوب والمعارف الأخرى:

تتقاطع الأسلوبية مع المعارف والعلوم الأخرى شأنها في ذلك شأن جميع العلوم الإنسانية التي تفيد وتستفيد من بعضها وأي تطور في أي علم أو اتجاه معرفي سيصيب باقي العلوم لا محالة، فلولا التطور الذي أصاب اللسانيات لما ظهر علم الأسلوب كون هذا الأخير فرع من اللسانيات يستخدم الإجراءات المطبقة في الحقل الألسني لاستثمارها في حقل الأسلوب كما ترتبط الأسلوبية بالبلاغة ارتباطا وثيقا ذلك أنها تطرح نفسها بديلا للبلاغة في مظهرها الكلاسيكي كونها أكثر علمية وشمولا وكذلك أكثر دقة وعمقا من نظيرتها في الدرس القديم لذلك يمكن اعتبار علم الأسلوب بلاغة جديدة، ويتعلق علم الأسلوب بالنقد الأدبي تعلقا مباشرا من خلال استخدام المفاهيم المنتجة في حقل الأسلوبية كمنهج نقدي في يد الناقد لتفكيك النص واستخراج القيم الأسلوبية، وهي عموما مرحلة من مراحل تطور المنهج النقدي....

التحليل الأسلوبي لا يمكنه تجاوز المكونات اللسانية للخطاب وذلك أن موضوع الأسلوبيات يبحث في بنية المعنى من خلال تمظهرها و تفصلها وفق مستويات الخطاب التي تعتبر أطرا نقدية في يد القارئ تجعلنا نميز بين البنية التركيبية ، والبنية الصوتية ، وكذلك بنية الدلالة و المعجم التي تمكنا من رصد السمات الأسلوبية داخل هذه البنى .

المستوى التركيبي:

يهتم علم الصرف ببنية الكلمة من حيث ردها إلى أوزانها ومعرفة هيئتها الحاصلة من ترتيب حروفها وحركاتها وكل ما يطرأ على الكلمة من تغير ، وكل ما يدخل عليها من زوائد، وحروف ، وتقديم، وتأخير، وإعلال، وإبدال..

ويعتبر إرجاع الألفاظ العربية إلى أوزان معينة وفق شروط محددة ووفق اشتغال آلة الاشتقاق التي تعد من أهم مزايا العربية حيث تجعلها أكثر مرونة وثراء ، وأكثر تميزاً من اللغات الأخرى خاصة في هذا الجانب ، وإذا كان علم الصرف يدرس بنية الكلمة فإن علم النحو يقتفي بنية هذه الكلمة من حيث سلامتها الوظيفية والقواعدية أي من حيث وجودها في بنية علائقية ترتبط بما قبلها وبما بعدها في المستوى الخطي لتكوين الجملة باعتبار أن الجملة هي ميدان دراسة النحو ، لذا يشترط علماء النحو أن يجري ترتيب الكلمات حسب ما رسموه من قواعد فلا يخل المتكلم بشيء منها ، وهو ما يؤكد أن النحو قد نشأ في أول أمره وفق قاعدة الصواب والخطأ أو ما يجوز وما لا يجوز في اللغة بما يعبر عنه أبواب ومباحث النحو المختلفة التي تحافظ على مبدأ السلامة اللغوية، لكن الدرس النحوي العربي تجاوز هذه المرحلة خاصة عند عبد القاهر الجرجاني الذي استطاع ربط النحو بالبلاغة والمستوى التركيبي بالدلالة وجمالية النص ، وهو ما أكدته تشومسكي Noam.Chomsky في القرن العشرين الذي اعتد بلقادرة الإبداعية لآلية النحو رابطاً قاعدة التحويل والتوليد بالمعنى والدلالة على غرار التركيب، ومن هنا تبرز قيمة المستوى التركيبي بالنسبة للدراسة الأسلوبية .

- المستوى الصوتي :

يعتبر علم الصوتيات من أهم الفروع النظرية لعلم اللغة حيث يحتل مكانة بارزة في الدراسات اللسانية وذلك لصلته المباشرة بالأداء الكلامي حيث تعد الدراسة الصوتية المحور الأول للولوج إلى أي نص أدبي انطلاقاً من أصغر وحداته المشكلة للمستوى الأول في الدراسة النقدية ولهذا فإن هذه الوحدات هي التي يبني عليها العمل الأدبي مهما تباينت أجناسه .

وأكد أن لهذا العلم اتجاهات عدة فهو فيزيولوجي الجانب إذا تعلق بالجهاز النطقي أو السمعي الذي يعنى بالعملية الصوتية، وهو فيزيائي إذا كان يرصد تحرك الصوت في الهواء أو المجال الأكوستيكي كما له صلة مباشرة بعلم النفس فيما يخص الأمراض الكلامية وهذا الجانب يشترك فيه كل اللغات البشرية باعتبار أن الكلام خاصة إنسانية .

ولكن الجانب المهم في الصوتيات هو دخولها في النظام اللغوي ليس كعنصر مادي مستقل ، ولكن بصفة فاعلة في عملية الخطاب ومساهمته في صناعة الدلالة، وهو ما يفسره علم الأصوات الوظيفي "Phonologie" الذي ازدهر مع حلقة براغ "Cercle de Prague" وإسهامات ياكبسون، وذلك لارتباطه بالدلالة وأثره في المعنى من خلال تعدد المظاهر الصوتية كالنبر والتنغيم... وكذلك بيان الجانب الوظيفي للصوت وأثره في المعنى.

-المستوى الدلالي والمعجمي:

يمكن القول أن تواطؤ المستوى الصوتي والتركيبي هو المحصل للمستوى الدلالي « الذي يُشغَل بتخيير المعاني المباشرة وغير المباشرة و الصورة المتّصلة بالأنظمة الخارجة عن حدود اللفظ التي ترتبط بعلم النفس والاجتماع وتمارس وظيفتها على درجات في الأدب والشعر».

وقد استأثرت قضية المعنى باهتمام علماء اللغة والبلاغة وكان لنزول القرآن الكريم أثر كبير في تطور دلالة الألفاظ، حيث يعد النص القرآني الأساس فيما ابتدع العرب من علوم البلاغة هذا ما قرره علماء العرب أنفسهم حينما جعلوه مقياسا للتطبيق ومعيارا للمفاضلة بين نصّ و نصّ وفنّ و فنّ، باعتبار أن النص القرآني أرقى نص أدبي وبلاغي في لغة العرب. يهتم المستوى الدلالي بالمعنى وظلاله وطرائق التعبير عنه بأشكال مختلفة والصلة بين اللفظ ودلالته وكذا الاهتمام بالمدلول اللغوي للمفردة في السياق الذي وردت فيه، كما يبحث أيضا عن معنى الجملة من خلال الأداء الفني وصولا إلى المعنى المراد التعبير عنه بحسب تنوع الظروف المقامية، وأشكال الأنماط التخاطبية .

لقد عُني علماء البلاغة العرب بالسبل التي تبرز الناحية الجمالية في التعبير لا مجرد إفهام المتلقي وإيصال المعنى له، لذلك انصبّ اهتمامهم على المفهوم الدلالي وتنوّع مستوياته للمفردة الواحدة ضمن السياق التعبيري الذي وردت فيه، ثم الانتقال بعدها إلى التكوين الدلالي للجملة وطرائق

صياغتها، كما أولو عنايتهم بمعرفة الظواهر اللغوية ووظائفها، وأحوال اللفظ، ووضوح دلالاته ومن ثم حصر الألفاظ في مجموعة حقول تدعى الحقول الدلالية وكذا عنصر إبراز مجموعة الصور الفنيّة الواردة من تشبيهات و مجازات و استعارات و كنايات، وهو ما أعطى لهذا العلم بعدا آخر في اللسانيات الحديثة خاصة عند تشومسكي والبحث الأسلوبي بالتحديد حيث أصبح المعنى هو ميدان الدراسة وموضوعها، بل وأصبحت كل دراسة نقدية تبحث عن تجليات المعنى وتحولاته داخل بناء النص وخارجه.

محددات الأسلوب

الاختيار:

يتشكل الأسلوب من خلال عاملين أساسيين وهما الاختيار والتوزيع، أو الاستبدال والتأليف حيث يعتمد المتكلم إلى اختيار بعض المظاهر المحدودة في اللغة ثم يقوم بتوزيعها في مستوى خطي مراعيًا قواعد النظم والتأليف، على اعتبار أن اللغة مجموعة من الإمكانيات المفتوحة التي تسمح لمنشئ الكلام في التصرف بهذه الإمكانيات وذلك بالانتقاء والاختيار، ثم التأليف والترتيب الذي يجعل للكلام صفة الأسلوب في مقابل أساليب أخرى، وعلى اختلاف بين الأسلوبيين في تحديد ماهية الاختيار وطبيعة تشكله إلا أنهم اتفقوا على أهمية هذه الخاصية بالنسبة للأسلوب وأولييتها، ف (مروزو) يعتبر الاختيار موقف من ضمن إمكانيات اللغة و(كرسو) يعتقد بأنه عقد من الوعي المشترك بين المرسل والمستقبل في حين يرى (ليو سبتزر) أنه ممارسة عملية لأدوات اللغة...

وقد ذكر البلاغيون العرب موضوع الاختيار وأثره في صياغة الكلام وصناعة الشعر فالجاحظ يقول في سياق حديثه عن صناعة الشعر أنه " تخير اللفظ في حسن الإفهام " وابن المدبر يربط أساس صناعة الكلام بالاختيار " وليس شيء أصعب من اختيار الألفاظ وقصدك بها إلى موضعها.. "

ولابد أن مصطلح الفصاحة مرتبط مباشرة بمصطلح الاختيار إذ عليه يتم انتقاء أفصح الألفاظ وأصحها وأكثرها جريانا على الألسنة، ولهذا كان موضوع الاختيار شائعا عند البلاغيين القدماء وعند النقاد وصناع الشعر، أما بالنسبة للمحدثين فليس كل اختيار يمكن وصفه بالأسلوبي لأنهم يفرقون بين نوعين من الاختيارات:

. اختيار مقامي آني تواصلني وهو اختيار أدائي نفعي يهدف إلى تحقيق أغراض معينة وفق ما يقتضيه الموقف والمقام إذ لا يملك فيه منشئ الكلام إلا إمكانيات محدودة تلبي لحظة التواصل .

. اختيار محكوم بمقتضيات التعبير وهو اختيار واعي ومقصود يتكئ على قواعد اللغة بمفهومها الشامل ويستثمرها أحسن استثمار وذلك بإخراج الكلام في أحسن صورة ممكنة ومبتكرة تدل على مهارة المتكلم وقدرته على التصرف من مخزون اللغة وطاقتها الكامنة، ويدخل تحت هذا الاختيار أبواب البلاغة المختلفة وكذلك اختيارات الأدباء والكتاب بما يكشف عن هوية أسلوبية واضحة المعالم ويمكن تمييزها عن غيرها .

التوزيع التأليف

إن عملية الاختيار لوحدها لا يمكن أن يبني من ورائها شيء ما لم تعقد في نظم محكم الترتيب يخضع لقوانين اللغة وأعراف اللسان المتواضع عليها وهو ما يطلق عليه بـ " التوزيع " على أساس أن الأسلوب إسقاط لمحور الاختيار على محور التوزيع، والتوزيع، أو التأليف، أو الترتيب، التركيب.. أهم مرحلة يمكن من خلالها الوصول إلى إنتاج خطاب لغوي تواصلني أو أدبي صحيح قواعديا وسليم من منظور الملكة اللسانية وفق منطق العلاقات الركنية الاستبدالية في مستوى خطي تتوزع فيه الحروف والكلمات سياقيا لتعبر عن انسجامها الدلالي والصوتي المنشود.

ولا جرم أن هناك العديد من المصطلحات البلاغية القديمة التي تتفق ومصطلح التوزيع من قبيل مصطلح النظم، التأليف، الصياغة.. التي عبر بها القدماء عن تفاوت الأسلوب وعلو بعضه على بعض.

وبعد التركيب والبناء أهم ما يمكن أن يميز به النص الأدبي باعتبار أن النص عبارة عن كون مفتوح من العلاقات اللغوية والفنية التي ترتفع بالخطاب الأدبي إلى المستوى الفني والجمالي من خلال وحدته وانسجامه الداخلي، وفي هذا يقول " مشال رفاتير " (الخطاب لأدبي تركيب جمالي للوحدات اللغوية من خلال استثمار معاني النحو التي تمنحه الوظيفة الأدبية التي هي سر من أسرار خصائصه البنيوية والتركيبية والوظيفية..).

الانزياح :

يمكن الحديث عن مفهوم الاختيار ومفهوم التأليف كعنصرين أساسيين يتضح من خلالهما معالم الأسلوب ويمكن وصف كل عملية تخاطب على أساس أنها عملية لا يمكن أن تتجاوز مرحلتي الاختيار والتوزيع وبالتالي فإن إنتاج (أي كلام) هو بالضرورة محكوم بالمراحل السابقة، ولكن إذا تم اختراق هذه المراحل والخروج بها من مجرد إنشاء الكلام إلى نمط آخر من الكلام يبعث على الشعور بالجمال من منظور غير معتاد وغير مألوف في أبجديات الخطاب نصبح أمام ظاهرة أخرى في اللغة يمكن وصفها بـ "الانزياح" وهذا الأخير هو انحراف الكلام عن نسقه المألوف من خلال استثمار طاقات اللغة وإمكاناتها الكامنة في ثوب جديد، ومن هنا يمكن وصف كل نص أدبي بأنه نص منزاح أو نص فيه انزياح لأن النص الأدبي يتجاوز اللغة الأدائية والمستوى العادي في إخراج الكلام ويهدف إلى إثارة المتلقي من خلال لفت انتباهه إلى وظائف أخرى للغة هي الوظيفة الفنية الجمالية، باعتبار أن النص الأدبي يخرق قانون الدلالة فيطرح إمكانية تعدد المدلولات وتنوعها ومن ذلك أصبح البحث الأسلوبي يتركز أساساً على موضوع الانزياح ودرجة انتشاره في النص الأدبي، أو هو فعل مقصود يتعمده الكاتب لخلق ما يشبه الدهشة أو الحيرة التي تحفز القارئ لاكتشاف مساحات أخرى للمعنى لم تكن لتظهر لولا هذا التضمين الواعي لذلك اعتبر ريفاتير الانزياح بأنه حيلة مقصودة لجذب انتباه القارئ، ويعرفه بقوله (انزياح عن النمط التعبيري المتواضع عليه، وهو خرق للقواعد حيناً ولجوء إلى ما ندر من الصيغ حيناً آخر) .

وقد استقر ريفاتير عند فكرة الانحراف الداخلي بعد أن تبين له أن طريقة القارئ العمدة . القارئ الذي لديه القدرة على تمييز النص واكتناحه وسبر محتواه . تكفي لاكتشاف الانحراف، ويحدد ريفاتير معيار الانحراف بالسياق الخارجي ويسمي وحدته الأساسية السياق الأصغر فهما مع الانحراف أو المخالفة يكونان معاً ما يسميه انحرافاً أسلوبياً، ويربط ريفاتير الانزياح بعنصر مهم وهو عنصر المفاجأة، حتى أنه رد ميزة النص الأدبي إلى هذا العنصر، فقال: (تنتج القوة الأسلوبية من إدخال عنصر غير متوقع إلى النموذج، فالسياق الأسلوبي يتكون من نموذج لغوي يكسره بغتة عنصر لا يتنبأ به). ويرتبط مفهوم الأسلوب عنده بعنصر المفاجأة الذي يبهر القارئ ويحدث صدمة في نفسه، فكلما

كانت السمة الأسلوبية متضمنة للمفاجأة فإنها تحدث خلخلة وهزة في إدراك القارئ ووعيه، وهذا ما يمكن أن يطلق عليه انحرافا .

أما " ياكبسون " فيعبر عن هذه الميزة بمصطلح آخر وهو خيبة الانتظار أو الانتظار الخائب الذي يدل على عدم القدرة على التوقع، وهي تشير إلى قدرة الكاتب في القفز على سقف الإمكانيات المعتادة والمتاحة التي هي في دائرة وعي المتلقي، ويربط "جان كوهين" نظرية الانزياح بالنص الأدبي ربطا مباشرا إلا أنه يميز بين درجة انتشاره بالنسبة للنص النثري والنص الشعري ويعتقد كوهين أن النثر هو اللغة الطبيعية وبالتالي لا مجال للحديث عن الانزياح هنا إلا بدرجة أقل أما الشعر فهو لغة الفن والجمال وهو موضوع الانزياح وبذلك كان تعريف كوهين للشعر أنه (عبارة عن نسق من الانزياحات التي تقوم عليها الصورة الشعرية).

ويتخذ "ليو سبتزر" من الانزياح مقياسا لضبط الأسلوب من خلال تقدير كثافة عمقه ودرجة نجاعته في النص الأدبي، وهو على ضوء ذلك يعرف الأسلوبية بأنها استخدام للعناصر التي تمدنا بها اللغة وأن ما يمكن أن يميز ذلك الاستخدام هو الانحراف الأسلوبي الفردي وما ينتج من انزياح عن الاستعمال العادي .

وهذه الاختلافات حول مفهوم الانزياح وكيفية تحديده تبقى هامشية باعتبار أنها تحاول جميعا أن تضبط كشافا إشاريا للغة على أساس انزياح التوترات المنخفضة أو المرتفعة من أصوات، كلمات، صيغ، أبنية.. بالقياس إلى لغة متوسطة إحصائيا .

ولا جرم أن هذا المصطلح كان له صدهاء في البحث الأسلوبي العربي عند المسدي، وسعد مصلوح، وشكري عياد... وغيرهم وقد ربطه بعضهم بالامتداد التراثي لهذا المصطلح بلاغيا ونقديا في مفاهيم كثيرة التداول عند القدماء منها العدول، الضرورة، الشعرية، اللحن، الغلط، المجاز...

آليات التحليل الأسلوبي:

أضحى للأسلوبيات التطبيقية مكانة كبيرة في الساحة النقدية العربية منذ دراسة محمد الهادي الطرابلسي حول الأسلوب في الشوقيات، كما أصبحت آليات علم الأسلوب الحديثة تستنطق النص العربي القديم والحديث على حد سواء كما تغازل النص الشعري والسردى رغم اختلاف طبيعة النصوص ذات الموضوع الأسلوبي، وإذا كانت الأسلوبية في شقها النظري بعيدة الأغوار ومتفرعة المباحث ومتعددة الاتجاهات إلا أنها في الشق التطبيقي تختزل هذا الامتداد النظري في مجموعة من الإجراءات العملية التي تؤتي أكلها مباشرة إذا ما وضعت تحت مسبار النقد في تعاملها مع النصوص مهما تنوعت هذه النصوص إذ أن الهدف واحد وهو استكناه القيم الأسلوبية المبطنة في النصوص الأدبية، ويتضح البحث الأسلوبي من خلال رصد بعض المظاهر البارزة في النص الأدبي والتي يمكن من خلالها كشف الحجب عن الأسلوب.

والمظاهر الأسلوبية متعددة ومتنوعة بين يدي الباحث الأسلوبي حيث يرجع هذا الأخير النص إلى بنيته التركيبية عبر وضعه تحت مجهر المستويات اللغوية الأولى ثم البحث عن مناطق التوتر الأسلوبي عن طريق ما يلي:

- **الانزياح:** تهتم أسلوبية الانزياح بمختلف الانحرافات المعيارية التي تعد موضوعاً ممتازاً للباحث الأسلوبي من خلال رصد الخروقات اللغوية وتمييزها بحسب تمظهرها داخل النص الأدبي ودرجة تأثيرها ويمكن حصر هذه الانحرافات فيما يلي:
 - . رصد أحد ملامح الانزياح وتتبع درجة انتشاره في النص إحصائياً .
 - . من خلال علاقتها بالنظام العام للغة كأن تكون سلبية أو ايجابية .
 - . العلاقة بين القاعدة والنص كتضمنين القصة في الشعر أو العكس .
 - . حسب المستوى اللغوي الذي تعتمد عليه: صوتية نحوية معجمية دلالية ..
 - . عدولات استبدالية وعدولات ركنية .

- التكرار: يعد التكرار أهم المظاهر الأسلوبية الممتازة التي تستهوي الباحثين والكتاب على السواء باعتباره أداة فعالة يمكن من خلالها شحن النص الأدبي بطاقة أسلوبية تنتج نفسها في كل مرة، والتكرار يتعلق بالحروف كما يتعلق بالألفاظ والعبارات ويظهر أيضا بتكرار الصيغ وبعض المظاهر اللغوية..
- التقابل: إذا كان النص هو عبارة عن مجموعة من العلاقات المعقدة التي تشكل الارتباط والانسجام فإن عرض هذه العلاقات ومقابلتها يجعل من السهل تبيان القيمة الأسلوبية المعبرة عنها، والتقابل قد يكون إزاء الحروف كحرف السين وحرف الصاد، أو السين والشين من نفس الصفة أو بين كلمات وعبارات...
- التشاكل: وهو تراكم مستوى معين من مستويات الخطاب على المجال التركيبي وقد يكون التشاكل جزئي أو كلي حرفي أو لفظي مثل: هلوعا جزوعا ، مهل عهن...
- التوازي: وهو مصطلح بلاغي يدل على تقابل جملتين أو أكثر يجمع بينهما الكثير من التشابه كآيات السبع الأولى من سورة التكوير.
- التقديم/ التأخير: يدخل التقديم والتأخير ضمن المستوى التركيبي ليعبر عن خرق لعرف الجملة العربية كالابتداء بالخبر وتأخير المبتدأ بالنسبة للجملة الاسمية، والابتداء بالفعل أو المفعول به في الجملة الفعلية وتأخير الفعل وذلك لغرض أسلوبية .
- الصراع أو التوتر التركيبي المتجلي في:
 - الخبر/ الإنشاء
 - الحضور/ الغياب
 - الإثبات/ النفي
 - الأمر/ النهي

إعداد الأستاذ : مداقين هشام